الموروث الشعبي وجدلية الأنوثة والذّكورة
(مقاربة نقدية)

الدكتورة: حورية روّاق
كلّية الآداب واللغات / قسم الأدب العربي
جامعة - عبّاس لغرور- خنشلة

ملخص

المؤكّد أنّ الجدل الدّائر بين الرّجل والمرأة أزلي، لاعتبارات كثيرة أبسطها التركيبة البيولوجية والنّفسية لكلّ منهما. ولأنّ موضوع هذه الورقة هو إظهار هذا الجدل في نماذج من الموروث المادّي واللامادي الشّعبي، الماثل في بعض التقاليد والعادات و الحكايات والأمثال الشعبية، التي ولدتها ظروف معيّنة، ومع دلالتها على ثقافة المجتمع البسيطة، كان الوقوف عند مضمراتها إثباتا لبعدها عن السّطحية وتأكيدا على مدى فاعليتها في الحياة الثّقافية المعقّدة للجماعة من خلال استجابتها للحاجة النّفسية، و توافقها مع الحالة الشعورية للمتلقّي متى ما توفّرت لها العوامل المساعدة. ما يؤكّد الحاجة الملحّة لاستمرارية استخدامها والاستعانة بها كأيّ وسيلة أخرى تؤكّد صحّة المذهب الفكري.

مقدّمة

بين التقديس و التّدنيس، بين الأميسي و الأبيسي، وبين الدّونية والفوقية، كان تاريخ الجدل الأنثوي الذّكوري ولم ينته. فالدراسات الأنثروبولوجية، والميثولوجية تسرد لنا التّدرج الذي آلت اليه المجتمعات منذ تأليه المرأة والرّجل، وصولا إلى إثبات كونهما مخلوقين يشتركان في المسؤوليات على حد سواء.

وعودة سريعة إلى التاريخ القديم تبيّن لنا وضع الأنثى في عصر المشاعة البدائية التي بلغت حدّ التّأليه، حيث كانت المرأة كما الأرض مصدرا للخلق، والخصوبة، والاستمرار، من خلال إشرافها على الزعامة الدينية، والسياسية، وتدبيرها للاقتصاد، وكذا شؤون الأسرة بدءًا من تربية الأبناء، و هو ما عرف بالنظام الأميسي بمعنى حكم النّساء أو حقّ الأم، ففي "أحاديث هيرودوت" – في معرض

حديثه عن الأمازيغ الليبيين– ما يؤكّد:" أنّهم كانوا يقدّمون القرابين لـ "تين هينان" التي يعتبرونها جدّتهم الأولى"[1].

وإذا كانت هذه رؤية أحد كبار المؤرخين الإغريق للمرأة الأمازيغية وحقيقة إثبات وجودها في شمال إفريقيا مقارنة مع تهميش المرأة الإغريقية، فذلك ما يؤكّد قدرتها على القيام بمهام هي — في تقسيم الأعمال — لاحقا من اختصاص الرّجال.

وفي الحضارة الفرعونية فضلا عن مشاركة المرأة في مختلف ميادين الحياة كونها عملت بالقضاء، وبالطّب، وبالكهانة، – التي تعني آنذاك أقصى مراتب العلم والمعرفة– بل وبلغت من المراتب أن كانت في الحكم، نذكر على سبيل التّمثيل (حتشبسوت، كليوباترا)، وأبعد من كلّ ذلك نجد من الشّواهد التاريخية ما ينص على أعلى المراتب التي بلغتها المرأة المصرية، وهي مرتبة القداسة، إذ عبد الفراعنة من الآلهة من كان في صورة امرأة ك" إيزيس" التي ترمز إلى الوفاء والإخلاص وغيرها من الآلهة.

غير أنّ سيادة الحكم الأميسي تراجع مع نهاية المرحلة البربرية، وبداية المرحلة الحضارية، حين ظهر الزّواج الأحادي من جهة المرأة، فحلّ محلّه الحكم الأبيسي أو — حقّ الأب — وهنا تراجعت مكانة المرأة فكان تكريس دونيتها وتمجيد فوقية الرجل "نتيجة هيمنة العقلية الأبيسية التي تجلّت تمظهراتها في مجموعة من الممارسات والأفكار الدّونية، ومن ثمّ إخضاع إنسانيتها لإسقاطات ثقافية واجتماعية لا أساس لها من الصّحة".[2]

وجاء الإسلام ليحقّق المساواة بين الأنثى والذكر فلا مفاضلة بينهما في القيم الرّوحية، والإنسانية، والعملية. وإن كان لابدّ لنا من إظهار حقيقة العلاقة القائمة بينهما من خلال النّصوص الصّادرة عنهما في هذه الورقة، فإنّما سيكون ذلك لإثبات الفروق بين ما هو مكتسب وما هو فطري في شخصية المبدع ذكرا كان أم أنثى. والدعوة إلى ضرورة حضور فكر نقدي يتكامل فيه صوت المرأة والرّجل.

المرأة والرّجل بين الحضور والغياب في الموروث الشعبي

قد يصعب تحديد بدايات الجدل الدّائر بين الرّجل والمرأة لكنّ الذي يؤكّده تاريخ المجتمعات أنّه أزلي، وبالعودة الى الذّاكرة الشعبية، تتنوّع أسباب هذا الجدل، وتتنوّع معه المصادر التّراثية، بين ما روته الحكايات الشعبية، التي لعب فيها الخيال الدّور الأكبر في الصياغة البارعة الهادفة إلى انتصار

المرأة – إنْ إعادةً لاعتبارٍ، أو ردّا على إهانةٍ، أو كيدا في مقابل خبث– في مجتمع اتّصف بالذّكورة. ناهيك عمّا ضُرب من أمثال كشفت عن براعة المرأة البلاغية، وصناعتها لأحاجٍ وألغازٍ أقلّ ما يقال عنها أنّها إبداع ذكيّ، رغم ارتباطها بأعمال بسيطة.

وموضوع هذه الورقة هو إظهار هذا الجدل في نماذج من الموروث المادّي واللامادي الشّعبي. الماثل في الحكايات، والأمثال الشعبية التي ولدتها الفطرة بل وحتّى السذّاجة، ومع دلالتها على ثقافة المجتمع البسيطة، وجدناها تثبت على تقدّم الأزمان فعاليتها في الحياة الثّقافية المعقّدة للجماعة من خلال استجابتها للحاجة النّفسية، وتماهيها بالحالة الشعورية للمتلقّي متى ما توفّرت لها العوامل المساعدة. ما يؤكّد الحاجة الملحّة لاستخدامها والاستعانة بها كأيّ صناعة فنّية أخرى. وهو ما سنحاول إثباته في هذه البحث الموجز الذي نعرض فيه مضمرات الجدل الدّائر بين المرأة والرّجل.

والنّماذج التي سنعرضها في هذه المقاربة النّقدية تتنوع بين تصرفات، ومعاملات، وحكايات، وأمثال شعبية سائرة في الجزائر العميقة الواسعة، وقد يكون لها وجود في العالم العربي، وفي العالم كلّه، بالمحتوى ذاته، أو ببعض الاختلاف، كبيرا كان أم طفيفا، لأنّ الذّاكرة الشعبية المتّصفة بالشفاهية تجعل مثل هذه النّصوص معرضّة لسرعة الانتقال بين الشعوب، كما قد يكون السّبب في ذلك التّشابه الحاصل في نمط التّفكير، والمعتقد، وظروف المعيشة بين شعوب العالم.

ومن خلال عناصر الدراسة الآتية — والتي حصرناها في أربعة مظاهر على سبيل التّمثيل لا الحصر سنحاول تقريب فكرة مضمرات الجدل الثّقافي الشّعبي بين الرّجل والمرأة انطلاقا من البيئة الثّقافية التي أوجدت هذه النّصوص، مع مراعاة الموروثات الأدبية مظهرا، ولغة، وبلاغة، كونها المساعد على كشف هذه المضمرات في قراءة النّص التراثي. أمّا النّتيجة والخلاصة التي سنصل أليها فهي المؤكّدة لنا، أنّه رغم الاختلاف الظّاهر في النّصوص المختارة، يظلّ الاستئناس بين النّقيضين أساس استمرارية حياة ذلك الجدل الأبدي. تعارضا كان، أو تناصا كما هو في جدول الخاتمة المثبت في نهاية الدّراسة.

1– تجاهل وجود المرأة و حقيقة فاعليتها

لعلّ تجاهل كون المرأة عنصرا قاعديا وضروريا في تكوّن المجتمعات، وبناء الحضارات، كان الدّافع الأساس وراء استخدام ذكائها في جوانب الاحتيال والمكيدة ضدّ الرّجل، هذا الأخير الذي رآه تاريخ البشرية على اختلاف أجناسها، الأساس في وجود الأنثى، والذي يحقّ له عقابها ثلاث مرّات

في اليوم كما تقول الحكايات الشّعبية. وكما يقول المثل: "أضرب المرأة قبل الغداء وبعد العشاء". هذا العقاب حوّلته المرأة إثباتا لوجود فاعل ومبدع، بأخذ العبرة من النهاية .

إنّها فكرة نشأة الحكاية الأزلية التي يستعرض فيها طرفي التّجاذب والتّنافر – المرأة والرّجل – عضلاته، فتكون الأنثى مصدر الشّقاء كما تقول النّصوص الشعبية، إذ منذ زرقاء اليمامة ونصحها قومها، فشهرزاد في ألف ليلة وليلة، وأبعد من ذلك في تاريخ البشرية، و خاصّة تاريخ القهر الذي ساهم فيه بعض علماء الفكر المتطرّف من المؤرّخين، ورجال الدّين كان أن تمّ ربط هذا الكائن البشري – المرأة – بصفات المراوغة، والإثم، والخطيئة، والوقيعة بالرّجل. فكان التّحذير منه قويّا في مدوّنة التراث الشعبي، بصورة خاصّة في الحكايات، وفي الأمثال التي تحمل كمًّا من معاني الشرور المرتبطة بصفات وأفعال المرأة على مرّ العصور.من مثل ما يروى في الخرافات، وما يضرب في الكثير من الأمثال، التي مواردها في الأصل حكايات وأحاديث قائمة على الشّفاهية. ويكفينا النّظر في هذه النماذج.

– " يا لاحقْ النّساء ارْتاحْ بَدّلْ شْقاهمْ برَاحهْ.. اِيْلَوْحُوكْ على كافْ لَوّاحْ ليحسبولكْ طْيَاحهْ.. يشربوكْ سمّْ لَقْراحْ ويْجَفُّوكْ بعد لملاَحَهْ".

– "سوقْ النساء سوقْ دلاّلْ يا قاصدُو رُدّْ بالكْ.. يْوَريوْا لكْ من الرّبحْ قنطارْ، ويخسروكْ في راسْ مالكْ".

– "إذا قالوا لكْ النّسا نْطيْحوكْ في بيرْ، أحسبْ روحكْ طُحْتْ، أُطلبْ ربّي يكونْ قاعْ البيرْ قْريبْ، تطلع لِيهْ ليهْ".

– بالك ليغروكْ ضحكاتْهمْ ما يدومُوا، يَتْوضاوْا ما يْصلِيوْا، يسَّحْرُوا ما يصوموا ، الحوتْ في البحرْ عوامْ، وهُومَا بْلَا مَا يْعُومُوا.(3)

فهذه وغيرها كثير تشكّل السؤال الكبير: لماذا كلّ هذا التحذير، وهذا الذّعر من المرأة في الأمثال والحكايات الشّعبية؟ إلى متى هذه النظرة تجاه المرأة في التراث الشعبي؟ لتكون الإجابة في تصدّي النّقد الثقافي لمعالجتها بإرجاعها الى أسباب سيكولوجية ولّدتها التنشئة الاجتماعية. والتي بدورها ولّدت رغبة المرأة في التّحرّر من كافة أنواع العنف الثّقافي، والديني، وحتّى الاجتماعي، الذي من ظواهره هذه الرّجعية – في مجتمعنا الجزائري بصورة خاصّة، وفي المجتمعات الأخرى عربية أو غربية

بصورة عامة– والتّمادي في سلب حقّ المرأة في تنشئة أولادها على توسعة مدركاتهم الخيالية منذ الطّفولة. وها هي نتيجة هذا السّلب.

ففي زمن الأدب الالكتروني حين نطرح سؤالا ماذا تمثّل الحكاية الشعبية بالنسبة للطفل الجزائري مثلا؟ يجيب أحد الشباب بحكاية فيسبوكية. أنّه الطّفل الوحيد في العالم الذي ينام دون حكاية، بسبب أنه بمجرّد أن تبدأ الأمّ بقول: كان يا ما كان، كان واحد الرّاجل، يقاطعها الطفل: من هو هذا الرّجل؟ واش اسمه؟ وين يسكن ؟ واش يخدم؟ وكثير من الأسئلة التي يقطع بها سلاسة السّرد وعذوبة الوصف – أساس لغة الحكي – ما يشوّش صبر الأمّ، فتضجر من كثرة مقاطعاته، وتنهال عليه ضربا. وبدل أن ينام على حكاية ينام على عقاب. وحقيقة الأمر إذا كانت العبرة بالنّهايات ففي مثل هذه الثّقافة الشّعبية المعاصرة –إن جاز لنا هذا التّعبير – تسلب المرأة صفة الصّبر التي طالما اتّصفت بها في تربية أبنائها، وتحميلها مسؤولية التّخلي عن ظاهرة هي من أحبّ الأشياء إلى الأبناء في مراحلهم العمرية الأولى (فعل الحكي الذي عوّض بالضرب) .

والواقع أنّه إذا كان عقاب الأبناء في الصّغر أحد طرق التّربية التّقليدية، فإنّ عقاب المرأة يمتد طوال حياتها، وبوسائل متطوّرة تسلبها ذلك الرابط بينها وبين أبنائها، رابط الحنان والرّعاية لطفلها منذ استيقاظه إلى ساعة نومه، أو ليس الرّجل يحنّ إلى صدر أمّه، أو على حدّ قول النّاقد الغذّامي حين يقدّم لكتابه "الجهنية في لغة النّساء وحكاياتهنّ" :"هذا هو أحب كتبي إلى نفسي وهو رائحة أمي، وهو وجداني أودعه نادي مكة المكرمة وأيّ وديعة هي، هذا الكتاب يحكي قصة الحكاية الشعبية".[4]

لعلّ هذا الضغط على المرأة والممتدّ طوال حياتها،كان وراء سبب تفكيرها في الانتقام، والكيد، والاحتيال على الرّجل، وبالطّرق المختلفة التي سجّلتها لنا الذّاكرة الشعبية العامّة.أو كما تختصره حكاية المثل القائل " النّسَا يُقتلوكْ، ويَحْيُوكْ".[5]

2– الوأد المعنوي في تسميات المرأة في الخطاب العربي

لا يكاد يختلف الخطاب العربي في تسميات الأنثى إلاّ من قبيل اختلاف اللهجات، وهو في عمومه يقوم على إنكار ورفض أساسية المرأة في تكوّنّ المجتمعات، ففي الجزائر مثلا حين يرزق الأبوان بأنثى تستمر مناداتها بـ"الطّفلة" وهي رضيعة، (من مثل حديثهم: شوفي الطّفلة راهي تبكي، رضعي الطّفلة،....إلخ). إلى حين أن تصبح صبية يعتمد عليها في تقديم بعض الأشغال، حين ذاك تنادى "اسمعي يا طفلة فلانة " باستخدام أداة النّداء ثمّ لفظ طفلة ثمّ اسمها، وإنّما يذكر الاسم للتفريق بينها

وبين أخواتها ليس إلاّ. والأمر ذاته في المجتمع العربي حين تستخدم العبارة، "بنت يا فلانة"، وحين تتزوّج تنادى بـ "يا امرأة" أو كما تلفظ بالعامية "يا مْرَا" في مختلف المجتمعات العربية، وعلى أكثر تقدير "بأمّ فلان" كما هو في بعض أقطار المشرق العربي. وأكثر من ذلك هناك من يستعمل عبارة " لَمْرا حاشاك " حين حديثه عن زوجته. فما تفسير ذلك ؟

لا شكّ أنّ النّقد الثّقافي استطاع أن يكشف عن جوانب خفية في هوية الخطاب العربي من خلال الموروث الشّعبي. فكون الرّجل ضحية كما هو وارد في الموروث الشّعبي، ليس بالضرورة سببه مكر المرأة وخداعها، بل سببه هواجسه تجاهها. ومن ثمّ قد يكون هو ذاته مخترع هذه الأمثال و الحكايات، التي ساهمت المرأة في انتشارها للثقافة التي أنشئت عليها. فهي حين تكبر على سماع أمثال لا تحفظ كرامتها – كمخلوق فضّله الله وكلّفه برسالة سامية – من مثل" اللي عيْنُو في العذابْ يخالطْ النّْسَا والكْلابْ"، ومن تحذير بنات جنسها كما في المثل القائل:" يا مأمنة للرجال يا مأمنة للماء في الغربال"، فلا عجب أن تدّخر كلّ الجهد لتنتصر لذاتها بالقول: "إذا حلفوا فيك الرّجال باتْ راقد، وإذا حلفوا فيك النّساء بات قاعدْ"، وبالقول: "الرّجالْ تْهدْ الجبالْ، والنّساء تهدّ الرّجالْ". وغيرها كثير ممّا دوّنته لنا الذّاكرة الشّعبية.

والأعجب أنّه على أيّامنا، نجد من يؤمن أنّ المرأة أدهى من الشيطان فهذا الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي" يوظّف المثل الصيني "مترجما لفكر هؤلاء قائلا في إحدى ملصقاته الهادفة:

ما الذي يصنعه الشيطان

إن أعياه إنسان تقيّ؟

يكتفي طبعا بأن يرسل أنثى

دون أن يخسر شيّ. (6)

غير أنّ ذات المرأة التي جمعت أسوأ الصّفات في الموروث الشّعبي الذّكوري تنتصف لنفسها – حديثا– باتّخاذها مسارا لم يعد لصيقا بالرّجل، إنّه مسار الإبداع الذي غلّبت فيه صفة الإيجابية على صفة السّلبية، وهو ما أكّدته مشاركتها الفاعلة في ميادين الحياة العصرية المختلفة. وللمفارقة قد يكون في مكنونات ومضمرات المثل الشعبي الذي استخدم في التقليل من شأن المرأة، اعترافا ضمنيا بفاعليتها. "تْخِيرْ الزْمان يْعيشْ التّاجرْ والمهاجرْ والفاجرْ والمرأة بلا راجلْ". وإن كان القصد بالمرأة بلا راجل، الأرملة والمطلّقة، لكنّ المفارقة التي يقتضيها التحليل الثقافي لهذا التّراث هي إظهار مدى التّواصل

التراثي و الحداثي، الذي من شأنه أن يوجّه قراءتنا وتأويلنا إلى تخريج متوافق مع ظواهر المجتمع المعاصر في كون كثير من الفتيات قد أثبتن استقلاليتهن عن مسؤولية الرجال تجاههن وبالرّغم من محدودية التّفكير في المثل الشّعبي وإمعانه في الانتقاص من شأن المرأة، واستبعاد اعتمادها على نفسها دون أن يلصق بها الإهانة. يأتي المثل المذكور لينبئ عن حقيقة واقعة وواضحة بعيدة عن أي كناية.

3– الذّكورة في بعض الممارسات الاجتماعية

حين نترك التراث اللامادي إلى بعض مظاهره المادية، نكشف أيضا من خلال الممارسات الآتية ما يضمر وضع الأنثى في مرتبة تالية وتابعة للذّكر، ففي نموذج مراسيم العرس نلاحظ الآتي:

- خروج العروس مطأطئة رأسها تحت ذراع وليّ أمرها.
- إلباسها برنسا رجاليا وهو تقليد ما يزال قائما – وقد استحدث في قماش هو أخفّ –
- تحزيمها من قبل "الحمو، أو الصهر في اليوم التّالي للزفاف، مع ضربه إيّاها بين كتفيها.
- وضع طفل رضيع في حجرها، ومكافأتها للواضع ببعض النّقود.

إذا كانت مثل هذه العادات والتّقاليد وغيرها كثيرٌ ما يزال راسخا في أذهان الشعب، وتطبيقها باق و مستمر، إنّما هي دلالة قاطعة على وضع الرّجل موضع المتحكّم في حياتها إذ عليها طاعته، كونه راعيها، والاحتماء به، كونه زوجها، والسّهر عليه، كونه وليدها. و فوق كلّ ذلك دفعها ضريبة. أو ليس ميزان العقل أن ننظر إلى هذا الكبير– الرّجل – أنّه كان صغيرا وقد كبر في حضن امرأة، تماما مثلما كبرت هي تحت رعايته.

لكن وأمام هذا النكران الأنثوي الذي يصرّ الواقع الذّكوري على تثبيته، رغم أنّه من الموروث الشّعبي الرّجعي والبدائي في الكثير من المواقف، نجد تصدّي المرأة بإبداعها لتلك الحكايات والأمثال الدّالة على التّحدي .هذا التّحدّي هو في مثل حالة انتصار الأنثى لتفكيرها، وحقيقة وجودها، تنافيا مع مصالح المجتمع الذّكوري. وإذا كانت هذه مهمّة بعض المدوّنين من جامعي التّراث الشّعبي، فهنا أصبح لزاما على النّقد الثّقافي تغيير رؤية العقلية العربية لذاتها و واقعها، بالانفتاح على الثّقافة الشّعبية، ومعرفة مكنوناتها ليس لإثبات القيّم السّلبية، بل لأجل إعادة إنتاجها حتّى يتسنّى لها التّماشي مع المجتمعات المتقدّمة. فالتراث الشعبي الذي يعجّ بحكايات وأمثال عن سحر النّساء و مكرهنّ، يحوي أيضا" قصصاً عديدة تشير إلى أدوار كبرى لحكيمات من العجائز، وهي قصص تتجلّى فيها الخبرة والرأي القاطع" كما يرى الغذامي.(7).فلماذا يصرّ صناع القرار من الرّجال تجريد

المرأة من كلّ مزية؟ بل و أبعد من ذلك يطلقون مصطلح الإبداع الأنثوي وكأنّ الأنثى مخلوق يختلف في تفكيره عن الذّكر.

والواقع أنّه آن الأوان وفقا للدّراسات النّقدية المعاصرة رفض تصنيف الإبداع إلى أنثوي، وذكوري، وضرورة اتّخاذ نسق يستند إلى ضبط العلاقات الاجتماعية بعيدا عن أفكار مسبقة قائمة على تبعية المرأة للرّجل، حتّى وإن كان الفرق بارزا في التّكوين الفيسيولوجي، فكلّ ميسّر لما خلق له، وأنّ ذلك لا يعني عدم قدرة المرأة على تحقيق ذاتها في المجتمع.

4- حرب الأمثال بين النّساء والرّجال بين الائتلاف والاختلاف

إنّ النّماذج التي يوضّحها الجدول الآتي، هي مختارات من أمثال جزائرية، وأخرى عربية ممّا حفظته ذاكرتي، وإنّما أوردتها لدعم ما سبق عرضه في هذه الدّراسة من جهة، ولتأكيد أنّ مجموع ما دوّنته الذّاكرة الشّعبية في حدود ما اطّلعت عليه من أبحاث ودراسات في هذا الخصوص، – أقصد ما قيل في دونية الأنثى في مقابل الذّكر– تثبت أنّ ما يروى من أمثال عنها هو أضعاف ما يروى عن الذّكر.

حرب الأمثال بين النّساء والرّجال		بين الائتلاف والاختلاف
-"البنات اعمارة الدّار" - "دار البنات خاوية"		- تناقض في معنى المثلين، الأوّل فيه تكريم للمرأة، بخلاف الثاني فيه دونية.
- فى المقبره ولا فى حضن مرا. - أعزب دهر، ولا أرمل شهر.		الاختلاف واضح بين المثلين، معنى، ومبنى.لتناقض في موقف الذّكر من الأنثى.
- ظل رجال، ولا ظل حيط - الراجل في البيت رحمة ولو كان فحمة. - الراجل في الدار، يعمل الأكدار - خانه وقته، دار على مرتُه.		- اختلاف مع المثلين السّابقين، ما يؤكّد، تناقض الأفكار والمعاني في مواقف المرأة من الرّجل بسبب الظروف والمعاملة.

– خذ المرا الأصيلة ونام على الحصيرة. – خذي الرّاجل الفقير، ونامي على الحصير.		- ائتلاف في العبارة والمعنى واتّفاق الطرفين في أنّ المرء بجوهره لا بمظهره.
- الأم تعشعش، والأب يطفش - ريحة الأم بتلم، وريحة الأب بتخم. إذا مات البو وسّد الركبة، وإذا ماتت الأم وسّد العتبة.		الائتلاف إيجابا في تعظيم رسالة الأم، وكذا سلبا في نفي هذه الصّفة عن الأب، مع اختلاف في طرفي المعنى للأمثال الثّلاثة،.
- شابت الحاهم، والعقل ماجاهم. - المرأة، بنص عقل.		ائتلاف في التعبير، والتفكير.
الرجال عامل حالو غشيم، وهو شيطان رجيم - النسوان مصايد الشيطان		- ائتلاف في انعدام الثّقة بينهما.
- لالة مليحة وزادتها التّرويحة - سيدي مليح وزادوا الهوى والرّيح		- ائتلاف في العبارة، الدّالة على موقف العداء بين الأنثى والذّكر.
– النسا زريعه إبليس. – النسا سبب كل محنه. – النسا ما دواهم كان العصا		- على اختلاف الأمثال الثلاثة في الصياغة فهي تأتلف في التحذير من المرأة، وتدعو إلى ضرورة عقابها.

الخلاصـة

حقيقة الأمر أنّ الجدل الدّائر بين الذّكر والأنثى طبيعي جدّا، وإن كان أكثره قائم على النّظرة الدّونية تجاه المرأة، لكنّ وكما سبقت الإشارة في هذه الدّراسة، أنّ البادي للعيان هو مساهمة المرأة في قول هذه الأمثال، وتلك الحكايات التي بقدر ما تسرد فيها واقعا، فهي تكشف مضمرا ماثلا في تفضيل الذّكر على الأنثى في مجتمعنا العربي، و في المقابل إثباتا لوجودها من خلال صياغة أمثال، وحكايات تنتصر فيها لذاتها في مجتمع غلبت عليه صفة الذّكورة.

ختاما لهذا الجدل لعلّ في أقوال بعض من تناولوا ظاهرة الجدل بين الأنوثة والذّكورة إحقاق للعدل الطبيعي بينهما، فهذا "تشيخوف Chekhov"الذي يميّز الرجال بالذّكاء يرجع الفضل في ذلك للنساء يقول:" إذا غاب الرّجال عن مجالس النّساء يشعرن بالملل، وإن غابت النّساء عن مجالس الرّجال يصبحوا أغبياء"[8]، وهذا المثل الصيني ينتصر للأنثى بالقول:" بوسع الرّجل أن يعكّر سعادة الأسرة، ولكن ليس بوسعه أن يخلقها، لأنّ صنع السّعادة من اختصاص المرأة"[9].

عموما لعلّ المفارقة الغريبة والمضمرة وراء الجدل الذّكوري الأنثوي تؤكّد أنّ اجتماعهما لأجل البقاء والاستمرار أساسه و الائتلاف لاتفاقهما في صفة الإنسانية ،كما يستمر الخلاف لاختلاف التركيبة النّفسية والتّنشئة الاجتماعية لكلّ منهما على حدّ السّواء. ولعلّ في كتاب الله، قوله تعالى: "بعضكم من بعض"[10]، فصل منطقي لهذا الجدل، وتوجّيه للباحثين إلى إثبات حقيقة العلاقة بين الذّكر والأنثى، وأنها علاقة تكامل وتقارب، فالرجل من المرأة والمرأة من الرجل.

الإحالات:

(1) أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ). ترجمة وتعليق وشرح: الدكتور مصطفى أعشي.د.ط.الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. 2009.

(2) حميد اتباتو، رهانات السينما المغربية: الفاعلية الإبداعية وتأصيل المتخيل، Net Impression Ouarzazate، ورزازات، د. ط، 2006، ص، 87

(3) برواية الشيخ " سميحي مقدّم"، من بلدية المحمل ولاية خنشلة.

(4) عبد الله، الغذّامي، "الجهنية في لغة النّساء وحكاياتهنّ". مقدّمة الكتاب. والجهنية : اسم والدة الكاتب.

(5) مورد المثل: "في مشاداة كلامية بين رجل وامرأة، تحدّاها بأنّه الأقوى والأذكى، فقامت بدورها باستحضار ذكائها ودهائها وتوعّدته بقتله ثمّ إحيائه، لكنّه لاحتقاره إيّاها واستصغاره لشأنها لم يصدّق ذلك. فراحت المرأة تصرخ قائلة له سأخبر القوم أنّك حاولت الاعتداء عليّ، وحين أدرك من نفسه الهلاك طلب منها التّراجع، فأمرته بإلقاء نفسه في البئر وستقوم بإنقاذه، فلما فعل وحضر قومها أخبرتهم أنّها رأت رجلا في قعر البئر، لذلك صرخت طالبة النجدة. فضرب المثل: "النساء يقتلوك، ويحيوك".

(6) عزّ الدّين، ميهوبي، ديوان ملصقات، ط1.سطيف: منشورات دار أصالة،1997، ص24.

(7) عبد الله، الغذّامي، "الجهنية في لغة النّساء وحكاياتهنّ". مقدّمة الكتاب.

(8) الأزرق بن علّو، الرّحلة،ط1. دار قباء للطباعة والنشر، 2001 ، ص259.

(9) المرجع نفسه، ص267.

(10) آل عمران، 195.